Diyala Journal
for Human Research
Website:
djhr.uodiyala.edu.iq

مجلة ديالى
للبحوث الإنسانية

p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838

مجلة ديالى للبحوث الانسانية العدد (104) المجلد (1) حزيران 2025

تاريخانية السرد الروائي، رواية أحمر حانة مثالاً

م.د رقية هادي محمد
مديرية تربية ديالى

Abstract

This study explores New Historicism as a critical practice where literature and history intersect. It does so by reviewing the historical development of the historical novel and analyzing its concept through a critical approach that reads texts within their cultural and social contexts. The study also focuses on disentangling the overlap and interaction between the narrative and the historical in the construction of the novel. The selected case study is Ahmar Hana (Red Tavern) by Hameed Al-Rubaie, as it represents a prominent model in employing New Historicism and offers a rich interpretive space that re-reads history from a contemporary cultural and social perspective. The research highlights the role of New Historicism in shaping both setting and characters within the novel.

Email:

Published: 1- 6-2025

Keywords: السرد الروائي، التاريخانية، أحمر حانة

هذه مقالة وصول مفتوح بموجب ترخيص
CC BY 4.0
(http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

الملخص

تتناول هذه الدراسة، التاريخانية بوصفها ممارسة نقدية يتقاطع فيها الأدب والتاريخ عبر استعراض التطور التاريخي للرواية التاريخية، وتحليل مفهومها في مقاربة نقدية تقوم على قراءة النصوص ضمن سياقاتها الثقافية والاجتماعية، كما تركز الدراسة على فك التداخل والاشتباك بين السردي والتاريخي في بناء الرواية، وكانت عينة البحث رواية أحمر حانة لحميد الربيعي، لأنها تمثل أنموذجا بارزا في توظيف التاريخانية، وفضاء تأويليا رحباً يعيد قراءة التاريخ من منظور ثقافي واجتماعي معاصر، وركز البحث على دور التاريخانية في بناء المكان والشخصيات في الرواية.

المقدمة

تمثل الرواية بوصفها نوعًا أدبيًا سرديًا مرآة للمجتمعات، تعكس تحولات الإنسان وتاريخه ضمن حبكات تخييلية تمزج بين الواقع والخيال. ويمكن عد الرواية التاريخية واحدة من أبرز الأنواع السردية التي تستحضر الأحداث والوقائع المستمدة من التاريخ، وتعيد إنتاجها برؤية ومنظور جمالي وفكري جديد. من هنا، ظهرت الحاجة إلى مقاربات نقدية تقرأ هذه الروايات ضمن أطر ثقافية وتاريخية، وهذا هو الدور الذي قامت به التاريخانية الجديدة التي تشكلت بوصفها إتجاه نقدي جديد في مرحلة ما بعد البنيوية.

المبحث الأول

نشأة التاريخانية

تقدم الرواية صورة للمجتمعات الإنسانية، يرسمها الروائي بأساليب متنوعة مستخلصاً موضوعاتها من الواقع وما يمتلك من مخيلة ليضخ الحياة في نصوصها السردية، وتعد الرواية التاريخانية من أكثر الأنواع الأدبية تعبيراً عن الواقع إذ إن الأحداث التاريخية هي التي تدير دفة السرد فيها ويضفي الروائي شيئاً من الخيال لبناء الحبكة.

تعود نشأة الرواية التاريخية إلى القرن التاسع مع رواية والترسكوت (وايفرلي)، إلّا أن الإرهاصات الأولى لنشأتها يمكن العثور عليها في القرن السابع عشر والثامن عشر، ويمكن العودة إلى الأعمال القروسطية وعدها مقدمات للرواية التاريخية وإن خلت من مقوماتها كاملة. (لوكاش، 1986، صفحة 13)، يمكن القول أن الرواية التاريخية تمثل مرحلة من مراحل تطور السرد الروائي وبزوغ الرواية الحديثة، وعند مقاربة الرواية التاريخية وما يكتبه الروائي بإزاء الكتب التاريخية التي يدونها المؤرخ للأحداث والوقائع التاريخية نجد أن المؤرخ يكتب التاريخ الحقيقي وما جرى على أرض الواقع من أحداث ومواقف لشخصيات برزت في مراحل معينة من الزمن، أما الروائي فإنه ينتقل إلى ماوراء التاريخ ويستمد أحداثه من روحه وتجلياته على مسرح الحياة، ويحاول الإجابة عن التساؤلات التي تجول في مخيلة القارئ عن الأسباب والدواعي التي سوغت لهذه الأحداث أن تطفو على سطح الواقع وللشخصيات أن تقف هذه المواقف وتمارس هذه الأفعال وتقول

كلمات خلّدها التاريخ، ومحاولة الوقوف على العوامل الحقيقية التي حفزتها للحضور في الواقع والثبات في الذاكرة الإنسانية على مر الدهور، فالمؤرخ يقتصر دوره على كتابة التاريخ وتدوين الأحداث والمواقف، أما الروائي فإنه يقوم بسد الفجوات والثغرات التي يتركها المؤرخ وينقل القارئ إلى عالم سردي يزاوج فيه بين الواقعي والمتخيل ويعيد إنتاج الخطاب التاريخي في ضوء السياقات السوسيو ثقافية التي واكبت إنتاجه، فالرواية التاريخية كما ورد في معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة "سرد قصصي يرتكز على وقائع تاريخية تنتج حولها كتابات تحديثية ذات بعد إيهامي معرفي" (علوش، 1985، صفحة 103)، فهي ليست سجلاً للأحداث وتوثيقاً لمجريات الواقع بل تمثل نصاً سردياً يقوم على التماهي بين العصور واستحضار الغياب والاشتغال على المزج بين الحقيقة التاريخية والمتخيل السردي الذي يؤول هذه الحقيقة وبين ترسباتها في ذاكرة المتلقي غبر تواتر الأزمنة والربط بين الماضي والحاضر لاستشراف المستقبل.

أما التاريخانية فهي إحدى التحولات النقدية في مرحلة ما بعد البنيوية وتدعمها اتجاهات فكرية مثل الماركسية والتفكيكية فضلاً عن الانثروبولوجيا الثقافية لقراءة النص الأدبي في إطاره التاريخي والثقافي. (الخليل د.، 2022، صفحة 292)، وتمثل قراءة نقدية مغايرة تخرج عن الإطار التقليدي في تحليل الرواية وتفسير أحداثها التاريخية وتجعلها بؤرة تأويلية، وطاقة سيميائية تنقل المتلقي إلى عوالم جديدة تمتزج فيها الأزمنة ويفكك فيها النص ليعبر عن الماضي بلغة الحاضر وينتج دلالات سيميائية توظف التاريخ الغائب لصناعة الحاضر في زمن التلقي.

وقد أطلق (ستيفن غرين بلات) مصطلح التاريخانية الجديدة عام 1982 على مشروعه في نقد خطاب النهضة وتمكن من خلاله عبور الحدود فيما بين التاريخ، والأنثروبولوجيا، والفن، والسياسة، والأدب، والإطاحة بقاعدة اللاتداخل بين الأدب والسياسة والسلطة. (الخليل د.، 2022، صفحة 289)، وتمثل تحدياً كبيراً بوجه البنيوية التي انغلقت على النص ولم تخرج على لسانيات النص، وصارت قوة جديدة بمنظور مختلف تدفع بالنقد صوب أبعاد واتجاهات جديدة لم يصل إليها سابقاً يكون السياق هو العامل المؤثر فيها والنقطة المحورية للاشتغال التحليلي القائم على التأويل والتحليل السيميائي للنص الروائي.

وقد برز مصطلح آخر بموازاة التاريخانية وهو (شعرية الثقافة) الذي أطلقه غرين بلات ويقصد به مجموعة الممارسات النقدية التي تبحث في إكار الثقافة علاقة الأدب بالتاريخ والكشف عن العلاقة بين الخطابات وسياقاتها (السوسيوتاريخية)، إذن يمكن عد (شعرية الثقافة) المحايث اللفظي لمفهوم (التاريخانية الجديدة) (الخليل د.، 2022، صفحة 290).

أصناف التاريخانية

يمكن تصنيف التاريخانية إلى صنفين هما:

1-التاريخانية القديمة/ ظهرت في القرن التاسع عشر في انجلترا وتمثلت بالمرويات والسرديات التاريخية التي تعبر عن آيديولوجيات السلطة والطبقة الحاكمة، وقراءة الاحداث التاريخية قراءة ذاتية وغير بريئة هدفها خدمة الآيديولوجيات السائدة والإشادة بالمؤسسات الثقافية والسياسية الحاكمة (حمداوي، 2012)، فالتاريخانية التقليدية تمثل انعكاساً للواقع وبحسب ماركس الذي كان من روادها ويرى ان التاريخ تحركه العوامل الاقتصادية والصراع الطبقي للمجتمعات، أي أن المحرك الرئيس للمجتمع هو العامل الاقتصادي وليس الفكري والثقافي، وان كل مرحلة تاريخية تفهم في سياقها وضرورة ربط النص الروائي بالسياق التاريخي الذي يعبر عنه.

2-التاريخانية الجديدة/ مقاربة تقوم على تأويل النصوص والخطابات اعتماداً على خلفياتها التاريخية والاجتماعية واستكشافاً للآيديولوجيات السائدة في تلك الحقبة وتحديد القوى السياسية المتحكمة ورصد الصراعات الحزبية والاجتماعية المؤثرة فيها (حمداوي، 2012)، ومن أبرز روادها ميشيل فوكو الذي كانت رؤيته للتاريخ تقوم على أنه مجال لإنتاج المعارف وفاقاً للقوة والسلطة السائدة فيه، ويرى بأن الخطاب التاريخي هو المسؤول عن إنتاج الأفكار في المجتمع وليس النصوص والوثائق التاريخية، فالتاريخانية الجديدة تقوم على استكشاف الأنساق الثقافية المضمرة وتمارس انتقاد السلطات والمؤسسات السياسية المهيمنة، وتعمل على تقويض المقولات المركزية السائدة)ويكيبديا(2023 , وقد تمكنت الرواية في ضل التاريخانية الجديدة من الخروج من قوقعة التوثيق والمدونات التاريخية التي أحكمت قبضتها على متونها وجمدت حضورها السوسيولوجي في المجتمع والتماهي مع أفراده إلى فضاء مفتوح تتحول فيه الرواية إلى خطاب متجدد وأداة لتفكيك التصورات السائدة عن التاريخ وأحداث الماضي وإعادة إنتاجها بفكر ومنظور مختلف، فالهدف الأول للتاريخانية الجديدة إعادة تشكيل العلاقة بين الرواية والنظام الثقافي الذي أنتجها (الخليل د.، 2022، صفحة 293)، وتحفيز الفاعلية وديناميكية العلاقة بين الخطاب والمجتمع وتوهجها في ضوء مفهوم يرى بان الخطاب هو المنتج للأفكار والمؤسس لظهورها في المجتمع.

المبحث الثاني

التاريخي والسردي في الرواية

يتداخل التاريخي والسردي في الرواية، وينتج عن هذا التداخل اختلاف في القراءات النقدية والتحليلية للنصوص الروائية، ولغرض فك الاشتباك والتداخل بينهما لابد من سراج نقدي نستضيئ به، ونحاول بوساطته الوصول إلى مقاربة مفاهيمية تنسجم مع طبيعة الرواية ودورها الفعّال في التسلل إلى المجتمعات والوعي بآيديولوجياتها والقيم والسلوكيات التي تضخ الحياة في النصوص الروائية.

وتزخر المكتبة العربية بالكثير من الكتب والدراسات التي تحدثت عن التعالق والارتباط بين التاريخ والسرد، واستوقفني في هذا الصدد بحث للدكتور سمير الخليل طرح فيه تساؤلاً عن إمكانية إزاحة الخطاب النقدي

المعاصر من نقد الفكر إلى نقد الفعل (الخليل س.، 2020، صفحة 71)، إذ يرتبط الجانب التاريخي في الرواية بنقد الفكر لأنه يمثل وسيلة التعبير عن الأفكار والمعتقدات والآيديولوجيات التي تعبر عنها الرواية في فترة زمنية معينة وتقييم معالجات الرواية للقضايا الفلسفية والاجتماعية عبر التوثيق التاريخي للأحداث وتسلسلها الزمني الحقيقي أم المتخيل والعمل على تحليل الأفكار والمعتقدات، أما الجانب السردي فيرتبط بنقد الفعل، ويخوض في في دراسة الأحداث وتصرفات الشخصيات ومدى انسجامها مع أفكار الرواية وآيديولوجياتها، فالنقد هنا ليس فكرة تحوم حول النص بل يمثل ممارسة له، فبإمكان نقد الفعل تغيير خارطة التفكير بالانفتاح على ما يتبدى في الواقع من نشاطات وممارسات، وليس ما يظهر في العقل من تصورات وخيالات (الخليل س.، 2020، صفحة 72)، ويقوم نقد الفعل بتفكيك النصوص وتحليل الأفكار الواردة فيها وتحويلها إلى إيماءات ثقافية عبر ربطها بالممارسات والسلوكيات الصادرة من الشخصيات والكشف عن مدى التطابق أو التناقض مع هذه الأفكار، فيكون النقد طاقة سيميائية وبنية كاشفة عن البذخ الدلالي الناتج من هذا التعالق بين السردي والتاريخي، والثراء النقدي الناتج من هذه القراءة المعمقة التي تسعى للخروج من دائرة الإيحاء والتلميحبالأفكار إلى فضاء التصريح والإيضاح المتولد من الممارسات الأخلاقية والأحداث، فالخطاب التاريخي قائم على العقل والمنطق والتوثيق الكرونولوجي لأحداث الماضي وما تختزنه الذاكرة، أما الخطاب السردي فيستثمر الماضي لبناء الحاضر وتحديد الهوية الإنسانية وفاقاً للبيئة والمجتمع وتحليل الطبيعة الأنطولوجية للشخصيات وكيفية إدراك الواقع وفهمه على كافة الأصعدة.

فالخطاب التاريخي وتحديداً الرواية يتجاذبها هاجسان أحدهما الأمانة التاريخية وضرورة التوافق مع المصادر التاريخية، والآخر مقتضيات الفن الروائي لتحقيق الانسجام الداخلي بين مقومات النص وتوحيد عناصره وتكاملها (وآخرون، 2010، الصفحات 210-211)، ويمكن القول أن التاريخ يمثل المادة الخام لإنتاج السرد، إذ تستلهم الرواية التاريخية أحداثها وشخصياتها من المدونات التاريخية لكنها لا تنقلها حرفياً، بل تعيد صياغتها بقالب جديد وتضفي عليها نفحة سردية مشوقة ويعمل الروائي على ملء الفجوات في السجلات التاريخية وبث الحياة في شخصياتها والوقائع المثبتة فيها فيعمل هذا التداخل بين الحقيقة التي يمثلها التاريخ والخيال الذي يمثله السرد إلى خلق توتر بينهما يدركه القارئ الواعي، ما يستدعي منه ضرورة الفصل بين المرجعيات التاريخية والرواية التاريخية لتجنب الوقوع في هذا الخلط والاستناد إلى حقائقراسخة قوامها التاريخ أو سرد متخيل منشؤه الرواية، فالمهم في الرواية التاريخية كما عبر عن ذلك جورج لوكاش ليس إعادة سرد الأحداث التاريخية الكبيرة، بل الإيقاظ الشعري لشخصياتها فضلاً عن عيش الدوافع الاجتماعية والإنسانية التي قادت هذه الشخصيات للتفكير والسلوك الذي قاموا به في تلك الوقائع (لوكاش، 1986، صفحة 46)، إذ لا يمثل الصدق التاريخي ولا البعد الجمالي للنص بمفرده معياراً نقدياً لتقييم

الرواية، بل تتعاضد هذه العوامل إلى جانب فهم السياق والأبعاد الثقافية الدافعة لبناء النص، لتمكين القارئ من فهم النص الروائي وقراءته قراءة تاريخانية واضحة.

دور الشخصيات في بناء الرواية

لم تعد الشخصيات التاريخية رموزاً ثابتة في الرواية، بل يتم النظر إليها بوصفها منتجات ثقافية تشكلها الخطابات الاجتماعية والقوى السائدة في عصرها، فتتم دراستها عبر التركيز على كيفية بنائها وقدرتها على التعبير عن الآيديولوجيات وأنظمة السلطة المركزية.

أما الشخصيات المتخيلة في السرد الروائي فلا يمكن عدها مخترعات خيالية فقط، بل معبرة عن السياق التاريخي والثقافي الذي أنتجها، وعاكسة لأفكاره وقضاياه الاجتماعية والأخلاقية، وتتداخل هذه الشخصيات في ضوء التاريخانية الجديدة وتتفاعل فيما بينها لأن الحدود بين الحقيقة والتاريخ ليست حدوداً صارمة وواضحة تماماً فيخلق هذا التفاعل سرداً معقداً تبرز فيه التحديات للمفاهيم التقليدية لكل منهما، والإتجاه صوب التحليل وكشف علاقات السلطة والآيديولوجيات التي تبثها لتصبح مفاهيم وأفكار سائدة بين أفراد المجتمع والتاريخانية الجديدة تدرس النص الأدبي على إنه بيئة جمالية وشكلية تتضمن بنى تاريخانية وثقافية لا شعورية يتم تحليلها وتفكيكها بأساليب علمية وجمالية بحسب المناهج النقدية (حمداوي، 2012)، فقد خرجت هذه الرؤية عن الأسلوب التقليدي لتحليل النصوص، وقراءتها قراءة ذاتية وآيديولوجية وعد الشخصيات أدوات للسرد وأقرب إلى أن تكون شخصيات خيالية لا تمتلك حق تقرير المصير أو التعبير عن الرؤى والأفكار التي تعتمل في ذاتها لأنها مجرد أدوات بيد التاريخ يقتصر عملها على نقل الوقائع التي حدثت في زمن مضى بعيداً عن الإلتفات إلى أعماق هذه الشخصيات وما تفكر به أو تشعر به في هذه اللحظات التاريخية فتكون الرؤية من منظور خارجي يصور فعلها وسلوكها من دون الخوض في أعماقها والأسباب التي دفعتها لهذه الأفعال أو الكشف عن الدوافع الخفية ما وراء هذا التدوين التاريخي، ولتحليل دور الشخصيات في الرواية يكون لزاماً إيراد الحديث عن زمن القصة وزمن الحكاية كما بينهما جيرار جينيت في كتابه خطاب الحكاية وذلك لإمكانية التمييز بين دور الشخصيات في الرواية التاريخية ودورها في الروايات عموماً، فالحكاية بحسب جينيت مقطوعة زمنية مرتين، وهما زمن الشيء المروي وزمن الحكاية (زمن المدلول وزمن الدال)، ويرى بأن هذه الثنائية تدعونا إلى ملاحظة إحدى وظائف الحكاية وهي إدغام زمن في زمن آخر (جينيت، 1997، صفحة 45)، ففي الرواية التاريخية يكون المفهوم السائد بشأن الزمن الذي تمارس فيه الشخصيات أفعالها بأنه زمن مضى، وان ما يروى هو تنقيب عن هذه الأحداث والشخصيات واستحضارها من الماضي لى الحاضر، إلّا أن عبدالملك مرتاض له رأي آخر يرى فيه أن إيراد اسم الشخصية التاريخية وذكر أحداثها لا يعني تقدم زمن الأحداث على زمن الرواية لأنها أحداث بيضاء يجيء بها الروائي إلى عهده ليلبسها روحه وينسجها بلغته لزحزحة الزمن لأنه مغالطة في التصور

(مرتاض، 1998، صفحة 191)، ويعتقد أن الزمن الماضي والمستقبل يذوبان في الحاضر السردي للسرد المكتوب الذي يرى بأن الماضي فيه زمن خادع، وان الزمن الحاضر زمن مصطنع غايته توتير النسيج السردي، وهو حلية فنية يخرج من خلالها الزمن من رتابته السردية ويلبسه لباس الحاضر أو المستقبل لترشيق حركته (مرتاض، 1998، صفحة 202)، إذن فالزمن في الرواية التاريخية زمن متأرجح بين الأزمان في دلالاته الحقيقية، وتسهم الشخصيات في إنتاج هذا التوتر الزمني عبر الأفعال والسلوكيات التي يقصها الروائي لتكون المشكّل السردي للنص الروائي، والفاعل الحقيقي في فهم النص لأن طريقة السرد والتسلسل الزمني لتوالي الأحداث يعتمد على مكانة وقوة الشخصية وقدرتها على التعبيرعن الظلم والقمع لدى الشخصيات المهمشة، والقوة والتسلط في الشخصيات القوية المؤثرة، يفضي هذا الحديث إلى أن التاريخانية الجديدة تنظر إلى الشخصيات بوصفها جزء من السياق التاريخي، ومنتج ثقافي يتحكم في إيقاع السرد، وتقديم وجهات نظر مختلفة حول الاحداث التاريخية، مما يمنح الرواية ثراءً فنياً ودلالياً، ويجعلها أكثر حيوية في إيصال الرسالة التواصلية التي يسعى الروائي لإيصالها وتحفيز المتلقي لفك شفراتها.

المبحث الثالث

تطبيقات من رواية أحمر حانة

ملخص الرواية

تعد الرواية من روايات ما بعد الحداثة أو يمكن القول أنها من روايات ما وراء السرد، إذ أنها اخترقت المألوف وقامت على المغامرة وكسر مثلث التابوهات الثلاثة الدين والسياسة والجنس بطريقة وأسلوب مغاير، عبر بناء نص يقوم على مزج الأزمان والتداخل بين الماضي والحاضر لمكان واحد هو مدينة بغداد المدورة، وبأسلوب متنوع ومهارة في توظيف الشخصيات التاريخية للتعبير عن الحاضر وتداعياته الكبيرة جراء الحروب، ومتوالية المعاناة والمآسي التي مرت على مدينة بغداد عبر العصور من خلال المزج بين الحقيقة والوثائق التاريخية والسرد المتخيل الذي لم يخلُ من الغرائبية، واللغة الرمزية التي أوغل بها الكاتب في عرض الأحداث واستحضار الشخصيات الكبيرة في التراث العربي مثل ابن الأثير والجاحظ.

1- توظيف التاريخانية في بنية المكان

تتطلب القراءة التاريخانية للرواية رؤية عميقة تغوص ما وراء السرد، وتقوم على تأويل النصوص اعتماداً على سياقاتها التاريخية والآيديولوجيات المنبثقة من القوى السائدة التي تسعى إلى فرضها على المجتمع في مكان معين، فيصبح المكان بؤرة مشعة تبث ما تمتصه من أفكار ومفاهيم السلطة المتحكمة، ومن المشاهد التي يتجلى فيها توظيف التاريخانية في بناء المكان ما تحدث به الفتى عن مدينة بغداد عند دخوله إليها لأول مرة: "إلى اليسار يمتد صف طويل من أشجار عملاقة بيد أنها تبدأ بالتلاشي ما أن توغلنا في عمق المدينة. انعطف شارع القناة إلى اليسار في الحقيقة السيارة هي التي استدارت، شاقة طريقها بين صفين

جميلين من البيوت الأنيقة لكن سرعان ما اجتازتها نحو أكوام من الخردة هياكل عربات قديمة، أبواب مخلوعة، أسقف منهارة، وأسياخ حديد طويلة وملتوية" (الربيعي، 2017، صفحة 16)، كان الفتى يحمل في يده كتاب الخطيب البغدادي الذي يصف فيه أجزاء المدينة وأسوارها، وأبوابها الأربعة والقصور المشيدة فيها، إلّا إنه حال وصوله إلى المدينة كان مذهولاً من الواقع الذي رآه ولم يجد له صدى في كتاب البغدادي، فبدأ بتسويغ ذلك بأن البغدادي لم يزر هذا المكان ولم يطلع عليه عن قرب، فقد رسمت في ذهنه صورة أخرى لمدينة بغداد يسودها الغياب عن الواقع الحاضر الذي يعيشه من لحظة وصوله إليها، فكان وصفه للمكان محملاً بمعان ودلالات لا يكتشفها القارئ من الوهلة الأولى، بل يتطلب اكتشافها قراءة تأويلية وغوص في تاريخ المدينة للتمكن من فك شفرات النص والقدرة على فهم المغزى منه، وربطه بالسياق التاريخي الذي يعبر عنه وقراءة تاريخ المكان وفق تأويل ثقافي يعكس رؤية جديدة ومغايرة عن تاريخه الحقيقي، وإعادة بنائه بطريقة تجعله أداة لفهم الحاضر وليس التعبير عنه على إنه حقائق وأحداث شهدها المكان أو اتسمت بها طبيعته الجغرافية، وشكله المادي بمعزل عن الظروف الاجتماعية والسياسية التي مر بها من منظور مختلف، ورؤية جديدة لصناعة التاريخ تقوم على بناء جديد أساسه فهم الواقع المعاصر وليس استرجاع الماضي واستذكار أحداثه، ففي قوله (إلى اليسار يمتد صف طويل ...)يبدو للقارئ مدى تأثر الراوي المتمثل بشخصية الفتى في استحضار تاريخ المدينة عبر رؤيته الحاضرة لها، ووصفه المشحون بأنساق ثقافية مضمرة يمكن تأويلها عبر المفردات الواردة فيه، إذ يبدأ الوصف بالأشجار العملاقة التي تمثل علامة سيميائية لماضي المدينة المزدهر وتاريخها الحافل بالأمجاد العظيمة، ويسترسل في التعبير عن هذه الرؤية الإيجابية للمكان حين دخوله لشارع القناة والبيوت الجميلة التي شق طريقه وسطها، وصولاً إلى نقطة التحول وتلاشي هذا المنظر واستبداله بمنظر الخردة وأكوام الهياكل والعربات القديمة الدال على التحولات التي شهدها المكان والتغيير الدراماتيكي الحاصل فيه وصورة الخراب والدمار التي غطت عليه عبر الحروب والصراعات السياسية والعقوبات الاقتصادية ورمز لها بالهياكل والعربات القديمة التي جسدت آثار هذه المنعطفات التاريخية والانهيار الحضاري والتدهور الاجتماعي الذي أثقل كاهل المدينة، ورسم لها صورة مختلفة عن واقعها القديم وحضارتها التي أفلت في ظل الخراب والدمار.

ويمكن رصد مشهد آخر تسهم فيه التاريخانية ببناء المكان الروائي وهو حديث الراوي العليم عن ابن الأثير ورؤيته لمدينة بغداد التي زارها بعد قرون طويلة فيقول: "على العكس من الأول فإن الثاني نط من القرون الماضية إلى الألفية الجديدة وقد مر عليها عقد وبضع سنين. هو مدون للأحداث في كلتا الحالتين، لكن الذي أرعبه حقاً هو تغيير الفضا، فالمدينة المنورة التي خبرها سابقاً قد تغيرت بالتمام، لم يجرِ في الأمكنة، فالمحلات السابقة ما زالت بهيبتها وأسمائها القديمة، حتى شكل الأبنية وجد بعضاً منه والبعض الآخر طرأ

عليه التغيير في المظهر، بيد بيد أن هندسة العمران ، رغم مرور الزمن، صمدت." (الربيعي، 2017، صفحة 113).

يبدو لقارئ هذا النص من الوهلة الأولى أن الراوي يتفحص المكان بنظرة مادية بحتة يستقصي ما طرأ عليه من تغييرات في ظاهره وما استجد في شكله العام من خلال عباراته المبينة لهذا المعنى، لكن الحال يتبدل عندما تكون القراءة أكثر وعياً وتفحصاً لما وراء الكلمات وما تخفيه العبارات من دلالات، فالمدينة هنا لم تعد مجرد إطاراً جغرافياً للمكان فحسب، بل صارت سجلاً حياً لتراكمات الأحداث والعنف والتغييرات السياسية والاجتماعية فعلى الرغم من ثبات المحلات والأبنية وبقاء بعضها بنفس الهيئة والأسماء إلّا إن صدمة إبن الأثير كانت كبيرة في ما وجده من تغيير في الفضاء المكاني، فبينما بقيت المحلات والأسماء قائمة، وجد تآكلاً كبيراً في بنية المجتمع إلى حد يرى فيه المدينة مأهولة بأرواح تاهة في متاهاتها، وصار تداخل الأزمنة وتراكم الأحداث دافعاً إلى تحولها إلى كيان مضطرب فقد ملامحه الأصلية ويمكن القول أن النص يستحضر التاريخ لا بوصفه سرداص يصف المكان ويستذكر الوقائع والأحداث بل بوصفه قوة باطنة تعيد تعريف المكان وتشكل أقدار الشخصيات الساكنة فيه، فالمكان هنا لا يمثل مسرحاً للأحداث، وحاضناً لها بل صار كائن حي تحول من حالته لأولى حين كان مركزاً ثقافياً وحضارياً متألقاً إلى كائن مشوه فاقد لهويته مثقل بالخراب الناتج عن تغييرات الحكم وتراكم العنف وفقدان الذاكرة الجمعية لتاريخ المدينة ورموزها ومعانيها الأصيلة، فتكون القراءة التاريخانية لهذا النص منتجة لوعي جديد وفهم لتاريخ المدينة وتأويل ما جرى عليها فهي ليست مجرد حضور مادي للمكان بل تمثل مرآة تعكس انكسار الزمان والذات الإنسانية التي تقطنه وتسهم في الوصول إلى قناعة مفادها إنه إذا تغير المكان تغير الإنسان، والشاهد على هذا المفهوم هو تحول المدينة المدورة وتغيرها بين العصور.

2- توظيف التاريخانية في بناء الشخصيات

لبناء فهم أعمق للرؤية لا بد من التوسع في خوض غمارها والإمساك بخيوط السرد وعناصره المكونة لها، وتمثل الشخصيات عنصراً مهماً يسهم في بناء الرواية ويعزز عمق القرأة التاريخانية لها لأنها لا تتشكل بمعزل عن محيطها الزماني والمكاني فتكون نتاجاً لصيرورة تاريخية أكثر من كونها كيانات فردية مستقلة بمعزل عن المكان الذي يحويها.

ومن المشاهد التي يبرز فيها دور التاريخانية في بناء الشخصيات في الرواية قول الفتى الذي التقى بابن الأثير قرب جدارية فائق حسن والحوار الذي دار بينهما "أنا ابن الأثير ألف كتاباً عن الفرهود، لقد أنتهى النهب والسلب الفرديودخلنا في العام، لهذا تراني أحاذر الحيطان وأمشي بعرض الطرقات.

-وما الفائدة من كتابك؟

-بطر...

تركني ورحل، لقد ألقى كلمته الأخيرة بنوع من الهمزأ واللاأبالية، شعرت بغصة من مروقها بسرعة ولم أجد سبيلاً للاعتراض، مادام قد رحل." (الربيعي، 2017، صفحة 110)، يعلن إبن الأثير عن نفسه في هذا النص بطريقة مختلفة إذ لا يقدم نفسه بوصفه مؤرخاً عاش في القرون الوسطى بل يستحضر وجوده هنا على إنه شخصية روائية تتجول في مدينة موبؤة بالعنف والفوضى يعجز مع عمقه الممتد في عصور تاريخية سحيقة من التأثير فيها، فيتحدث عن الفرهود الذي دخل مرحلة جديدة في هذا العصر تحول فيها من النهب والسلب الفردي إلى العام، فيستدرك بإيضاح المشاعر التي ألمّت به لهذا التغيير وما طرأ على سلوكه إذ صار يحاذر المشي قرب الحيطان التي تمثل عادة رمزاً للأمان والاستناد إلى المشي بعرض الطرقات، كناية عن الخوف من الماضي الذي تهالك وتاريخ المدينة الذي إنهار ويعكس حالة الإرتياب التام وانعدام الثقة بالمكان، هذه المفارقة القاسية التي تصدر عن شخصية تاريخية مثل ابن الأثير الذي يمثل ذاكرة المكان ومعناه الأصيل، لكنه في هذا الجزء ينكمش ويحذر متخفياً من واقع مشوه ومدينة فقدت قيمتها فضلاً عن هشاشة قيمة المثقف أو المؤرخ الذي يعيش في واقع لا يعترف بالمعرفة بل يطاردها. يتبين ذلك في قول ابن الأثير وهو يختم حديثه بكلمة ساخرة (بطر) تفضح انكفاء السلطة الرمزية التي يحملها التاريخ عندما يصبح المؤرخ نفسه ضحية للخيبات والتهميش والسخرية وضياع الهوية في عالم بلا ذاكرة، وفي عبارة أخرى يبين فيها الراوي إن الحاضر قد إنفصل تماماً عن الماضي في قوله (شعرت بغصة) فالغصة هنا لا تمثل شعوراً نفسياً فقط بل لها بعد تاريخاني أعمق وهو أن التاريخ لا يقدر وابلشخصيات التي كانت تمثل عمق المدينة والذاكرة والمعنى أصبحت عرضة للتهميش والسخرية، نخلص إلى أن السياق التاريخي يعيد صياغة الشخصيات ويدمرها أحياناً ويسلبها قيمتها ومعناها.

ويمكن استحضار مشهد آخر يتجلى فيه توظيف التاريخانية في بناء الشخصيات وذلك في قول الراوي العليم وهو يتحدث عن رؤية ابن الأثير لمدينة بغداد بعد أن عاد إليها بعد قرون طويلة فيتحدث عن شخصياتها التي تغيرت ولم تعد مألوفة لديه كما ألفها قديماً: "الشخوص والأحداث بتفاصيلها وتقاطعها، وتشابكها وسيرها، كما ألفهم، لقد نزعوا الغمامة والجبة وارتدوا ملابس ضيقة، في البدء استهجنها وظنها مع الجلد ملتصقة، لكنه وفي لحظة مشاهدته لكيفية سرقة إمرأة عجوزبراد الماء وقد تطايرت عباءتها وكشفت عن ساقين متغضنين، اقتنع لحظتها أن الزمن قد أتى أكله في الشكل" (الربيعي، 2017، صفحة 113) .

يرصد الراوي هنا تحولاً كبيراً في الصورة التقليدية للشخصيات في الماضي تتمثل بلبس العمامة والجبة إلى صورة معاصرة لهم تبدّل فيها لباسهم وصارت الملابس ضيقة دلالة على تبدل القيم والمعايير والهوية الثقافية، إذ أصبح هذا الباس رمزاً للعصر الجديد ومظهراً يحاكي الحداثة لكنه يكشف عن أزمة في الهوية والمرجعية، فهو يستحضر الشخصيات داخل السياق التاريخي ويبين تحولاتها بوعي عميق ليس بمنأى عن الحراك التاريخي بل يعكس تداخل الأزمنة فلا يروي الأحداث بحسب التسلسل الكرونولوجي لوقوعها بل

تتشابك الأزمان ويتلاعب بها وتصبح كأنها طبقات متداخلة يتدرج فيها الماضي بالحاضر وصولاً إلى الراهن، وهذا يعكس فهماً تاريخانياً لمفهوم الزمن والخروج على السرد التقليدي الذي يكون فيه الزمن متناسقاً مع الأحداث فلا يخرج عن تسلسلها الحقيقي في الواقع، فلم يكن هناك فصل بين الزمن الماضي والحاضر وانعزال أحدهما عن الآخر بل جرى تقديمهما بامتداد سردي وفكري واحد عبر توظيف الذاكرة الجمعية باعتبارها وعي وقوة إدراكية محركة للسرد تبعده عن التشظي السردي وتفتيت الزمن، فيصبح النص قابلاً للتأويل وتعدد القراءات على وفاق الأنساق التاريخية التي يعبر عنها والقدرة التأثيرية التي تسلطها على بناء الشخصيات وتنامي حضورها في الرواية، ففي قول الراوي (وفي لحظة مشاهدته لكيفية سرقة ...) يمعن الراوي في هذا المشهد بدور التاريخ وبعده الزمني في تغيير الشخصيات والتحولات التي تطرأ عليها فكانت عباراته المنتقاة بعناية فائقة تمثل أداته التي يصل من خلالها إلى إيصال أثر التاريخ على بناء الشخصيات وسلوكها، فقوله (كشفت عن ساقيها المتغضنين) يمثل علامة سيميائية كاشفة لمرور الزمن وسريانه في المكان وبروز أثاره على الشخصيات، وما صورة تغضن الساقين إلّا دلالة تحمل بعداً ثقافياً وإشارة سلبية للتغيير الذي أصاب المدينة وأهلها بعد أن كانت تزهو بالعلم والثقافة والمعرفة صار السرّاق واللصوص في هذا الزمن هم الذين تسلط عليهم الأضواء ويمارسون سرقاتهم على الملأ دون تدخل أحد، ويمثل قوله (الزمن أتى أكله في الشكل) يمثل إنعكاساً مباشراً لتفكك البنية الأخلاقية للمجتمع وتفكك منظومة القيم والمبادئ التي ترسخت في المدينة منذ قرون طويلة، وما تبعه من إنهيار مؤسساتي واجتماعي، وما آلت إليه من استهلاك للحداثة في صورتها السطحية شكلاً لا مضموناً، وغياب المرجعية الفكرية الثابتة في مقابل أزمة الهوية والقلق الشعوري بين الإنتماء والولاء، والتشظي والتسأول، نخلص أخيراً إلى أن الكاتب يعيد تشخيص العراق عبر هذه الشخصيات، فكل مرحلة تمثل شخصية في الرواية وتعبر عن اتجاه سياسي أو حالة اجتماعية، وهي تخرج عن دورها الروائي بوصفها شخصيات سردية، إلى دور أكبر وأعمق صارت فيه وسائل لتفكيك التاريخ العراقي وأداة تستنطق الأعطاب التي حلت به عبر توظيف ما وراء السرد في بناء السرد فلم تكن الأماكن حيادية، ولا الشخصيات معزولة عن سياقها التاريخي، فلا يمكن فصل الذات عن سياقها الاجتماعي، وخطاب السلطة، فاصبحت الشخصيات أدواتاً للكشف، ولتقويض خطاب السلطة وإعادة صياغة هوية المجتمع وتشكيل بنيته الاجتماعية.

الخاتمة

نخلص في نهاية البحث إلى أن توظيف التاريخانية في قراءة الرواية التاريخية يمنح السرد بُعدًا تأويليًا يُخرجه من الإطار التوثيقي الجامد، إلى فضاء نقدي وآفاق ممتدة تربط بين الماضي والحاضر. فتتحول الرواية إلى وسيلة لإعادة إنتاج التاريخ برؤية نقدية تعكس صراعات السلطة والهوية والوعي الجمعي، ويبرز

دورها في بناء المكان والشخصيات التي يقوم عليها النص الروائي عموما، ورواية أحمر حانة تحديدا عبر النماذج النصية التي تم استكشافها وتحليل دلالاتها الثقافية في السياق التاريخي الذي وردت فيه.

المراجع

جورج لوكاش. (1986). *الرواية التاريخية* (المجلد 2). (د. صالح جواد الكاظم، المترجمون) بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

جيرار جينيت. (1997). *خطاب الحكاية بحث في المنهج* (المجلد ط2). (محمد معتصم وآخرون، المترجمون) الهيئة العامة للمطابع الأميرية.

حميد الربيعي. (2017). *أحمر حانة*. القاهرة: دار صفصافة للنشر.

د. جميل حمداوي. (15 3، 2012). التاريخانية الجديدة. *الألوكة*.

د. سمير الخليل. (2022). *دليل مصطلحات الدراسات الثقافيةوالنقد الثقافي*. بغداد: الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق.

سعيد علوش. (1985). *معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة* (المجلد 1). بيروت: دار الكتاب اللبناني.

سمير الخليل. (2020). *الرواية سرداً ثقافياً سسيولوجيا الثقافة وأرخنتها وتسييسها* (المجلد 1). بيروت: جامعة الكوفة سلسلة دراسات فكرية.

عبدالملك مرتاض. (1998). *في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد*. الكويت: عالم المعرفة.

محمد القاضي وآخرون. (2010). *معجم السرديات*. تونس: دار محمد علي للنشر.

ويكيبديا. (3 يونيو، 2023). *ar.m.wikipededia.org*. تم الاسترداد من تاريخانية جديدة.

References

• Georg Lukács. (1986). The Historical Novel (Vol. 2). (Translated by Dr. Saleh Jawad Al-Kadhim and others). Baghdad: General Organization for Cultural Affairs.

• Gérard Genette. (1997). Narrative Discourse: An Essay in Method (2nd ed.). (Translated by Mohamed Moatassim and others). General Authority for Amiriya Press.

• Hamid Al-Rubaie. (2017). Ahmar Hana. Cairo: Sefsafa Publishing House.

• Dr. Jamil Hamdawi. (March 15, 2012). New Historicism. Alukah.

• Dr. Samir Al-Khalil. (2022). A Glossary of Cultural Studies and Cultural Criticism Terms. Baghdad: General Union of Writers and Authors in Iraq.

• Said Alloush. (1985). Dictionary of Contemporary Literary Terms (Vol. 1). Beirut: Lebanese Book House.

• Samir Al-Khalil. (2020). The Novel as a Cultural Narrative: The Sociology of Culture, Its Historicization, and Politicization (Vol. 1). Beirut: University of Kufa, Series of Intellectual Studies.

• Abdulmalik Mortad. (1998). On the Theory of the Novel: A Study in Narrative Techniques. Kuwait: World of Knowledge.

• Mohamed Al-Qadhi et al. (2010). Dictionary of Narratology. Tunisia: Mohamed Ali Publishing House.

• Wikipedia. (June 3, 2023). New Historicism. Wikipedia.